

shariatallah.org

الملحق 8و: خدمة التناول — كان العشاء الأخير ليسوع هو الفصح

هذه الصفحة جزء من سلسلة تستكشف شرائع الله التي لم يكن بالإمكان إطاعتها إلا حين كان الهيكل قائمًا في أورشليم.

- الملحق 8أ: شرائع الله التي تتطلب وجود الهيكل
- الملحق 8ب: الذبائح — لماذا لا يمكن حفظها اليوم
- الملحق 8ج: الأعياد الكتابية — لماذا لا يمكن حفظ أيٍّ منها اليوم
- الملحق 8د: شرائع التطهير — لماذا لا يمكن حفظها من دون الهيكل
- الملحق 8هـ: الأعشار والبواكير — لماذا لا يمكن حفظها اليوم
- الملحق 8و: خدمة التناول — كان العشاء الأخير ليسوع هو الفصح (هذه الصفحة).
- الملحق 8ز: شرائع النذير والنذور — لماذا لا يمكن حفظها اليوم
- الملحق 8ح: الطاعة الجزئية والرمزية المرتبطة بالهيكل
- الملحق 8ط: الصليب والهيكل

تُعد خدمة التناول أحد أقوى الأمثلة على ما تكشفه هذه السلسلة: «طاعة» رمزية اختُرعت لتحل محل وصايا جعل الله نفسه حفظها مستحيلًا حين أزال الهيكل والمذبح والكهنوت اللاوي. لم تأمر شريعة الله قط بإقامة مراسم متكررة للخبز والخمر بدلًا من الذبائح أو الفصح. لم يُلغِ يسوع قط شرائع الهيكل، ولم يؤسس قط طقسًا جديدًا ليحل محلها. إن ما يسميه الناس اليوم «عشاء الرب» ليس وصية من التوراة، وليس شريعة من شرائع الله المستقلة عن الهيكل. إنه مراسم بشرية تقوم على سوء فهم لما فعله يسوع في فصحه الأخير.

نهج الشريعة: ذبائح حقيقية، ودم حقيقي، ومذبح حقيقي

في ظل الشريعة، لم ترتبط المغفرة والذكرى قط برموز من دون ذبيحة. والنمط الأساسي واضح: يُعالَج أمر الخطية حين يُقدَّم دم حقيقي على مذبح حقيقي في المكان الذي اختاره الله لاسمه (لاويين 11:17؛ تثنية 5:12-7). وهذا ينطبق على الذبائح اليومية، وذبائح الخطية، والمحرقات، وعلى حمل الفصح نفسه (خروج 3:12-14؛ تثنية 1:16-7).

لم تكن وجبة الفصح مراسم تذكارية حرة الشكل، بل كانت فريضة مأمورًا بها، وتتطلب:

- **حملًا حقيقيًا بلا عيب**
  - خروج 3:12 — على كل أسرة أن تأخذ حملًا وفقًا لأمر الله.
  - خروج 5:12 — يجب أن يكون الحمل بلا عيب، ذكرًا كاملًا ابن سنة.

- **دمًا حقيقيًا يُتعامل معه تمامًا كما أمر الله**
  - خروج 7:12 — عليهم أن يأخذوا من دم الحمل ويضعوه على القائمتين والعتبة العليا.
  - خروج 13:12 — يكون الدم علامة لهم؛ ولم يكن الله ليعبر إلا حيث وُضع الدم الحقيقي.

- **خبزًا فطيرًا وأعشابًا مُرّة**
  - خروج 8:12 — عليهم أن يأكلوا الحمل مع خبز فطير وأعشاب مُرّة.
  - تثنية 3:16 — عليهم ألا يأكلوا خبزًا مختمرًا، بل خبز المشقة وحده مدة سبعة أيام.

- **توقيت وترتيب محددان**
  - خروج 6:12 — يجب أن يُذبح الحمل عند الغسق في اليوم الرابع عشر.
  - لاويين 5:23 — يكون الفصح في اليوم الرابع عشر من الشهر الأول، في موعده المحدد.

لاحقًا، جعل الله الفصح مركزيًا: فلم يعد مسموحًا بذبح الحمل في أي مدينة، بل في المكان الذي اختاره وحده، أمام مذبحه (تثنية 5:16-7). كان النظام كله يعتمد على الهيكل. ولم يكن هناك شيء اسمه «رمز» للفصح من دون ذبيحة.

كيف تذكّر إسرائيل الفداء

حدّد الله نفسه كيف ينبغي لإسرائيل أن تتذكر الخروج من مصر. لم يكن ذلك من خلال تأمل بسيط أو إيماءة رمزية، بل من خلال خدمة الفصح السنوية التي أمر بها (خروج 14:12، 24:12-27). وكان على الأولاد أن يسألوا: «ماذا تعني لكم هذه الخدمة؟» وكانت الإجابة مرتبطة بدم الحمل وبأعمال الله في تلك الليلة (خروج 26:12-27).

حين كان الهيكل قائمًا، أطاع إسرائيل الأمين بالصعود إلى أورشليم، وذبح الحمل في المقدس، وأكل الفصح كما أمر الله (تثنية 16:1-7). لم يعلن أي نبي قط أن هذا سيُستبدل يومًا بقطعة خبز بسيطة ورشفة من الخمر في مبانٍ متفرقة بين الأمم. لا تعرف الشريعة هذا البديل؛ بل لا تعرف إلا الفصح كما حدّده الله.

يسوع وفصحه الأخير

الأناجيل واضحة: حين أكل يسوع مع تلاميذه في الليلة التي أُسلم فيها، كان ذلك الفصح، لا مراسم جديدة للأمم (متى 26:17-19؛ مرقس 14:12-16؛ لوقا 22:7-15). كان يسير في طاعة كاملة لوصايا أبيه، حافظًا الفصح نفسه الذي عيّنه الله.

على تلك المائدة، أخذ يسوع خبزًا وقال: «هذا هو جسدي»، وأخذ الكأس وتكلم عن دمه، دم العهد (متى 26:26-28؛ مرقس 14:22-24؛ لوقا 22:19-20). لم يكن يُبطل الفصح، ولا يُلغي الذبائح، ولا يسنّ شرائع جديدة للخدمات الدينية الخاصة بالأمم. كان يشرح أن موته هو نفسه، بوصفه حمل الله الحقيقي، سيمنح المعنى الكامل لكل ما سبق أن أمرت به الشريعة.

حين قال: «اصنعوا هذا لذكري» (لوقا 22:19)، كان المقصود بـ«هذا» وجبة الفصح التي كانوا يأكلونها، لا مراسم جديدة تمامًا منفصلة عن الشريعة والهيكل والمذبح. لا توجد على لسانه وصية تؤسس طقسًا جديدًا مستقلًا عن الهيكل، له مواعيده وقواعده ورجال دينه الخاصة. كان يسوع قد قال من قبل إنه لم يأتِ لينقض الشريعة أو الأنبياء، وإنه لن يسقط من الشريعة أصغر حرف أو نقطة (متى 5:17-19). لم يقل قط: «بعد موتي، انسوا الفصح وأقيموا بدلًا منه خدمة للخبز والخمر أينما كنتم».

أُزيل الهيكل، ولم تُبطَل الشريعة

تنبأ يسوع بـدمار الهيكل (لوقا 21:5-6). وحين حدث ذلك سنة 70 ميلادية، توقفت الذبائح، وأُزيل المذبح، وانتهت الخدمة اللاوية. لكن لم يكن أيٌّ من ذلك إبطالًا للشريعة؛ بل كان دينونة. ولا تزال الوصايا المتعلقة بالذبائح والفصح مكتوبة كما هي، لم تُمس. إنما أصبح إطاعتها مستحيلًا لأن الله أزال النظام الذي كانت تُمارَس فيه.

ماذا فعل الناس؟ بدلًا من قبول أن بعض الشرائع يجب إكرامها، مع استحالة حفظها إلى أن يعيد الله المقدس، ابتكر القادة الدينيون طقسًا جديدًا — خدمة التناول — وأعلنوا أن هذا الاختراع هو الآن الوسيلة «لتذكّر» يسوع و«الاشتراك» في ذبيحته. أخذوا الخبز والكأس من مائدة الفصح، وأقاموا حولهما منظومة جديدة بالكامل، خارج الهيكل، وخارج الشريعة، وخارج كل ما أمر به الله نفسه.

لماذا تُعد خدمة التناول طاعة رمزية

تُقدَّم خدمة التناول في كل مكان تقريبًا بوصفها بديلًا عن ذبائح الهيكل وعن الفصح. ويقال للناس إنهم بإكلهم الخبز وشربهم الخمر (أو العصير) في مبنى كنيسة أو أي مبنى آخر، يطيعون وصية من المسيح ويتمّمون ما أشارت إليه الشريعة. لكن هذا هو بالضبط نوع الطاعة الرمزية التي لم يأذن بها الله.

لم تقل الشريعة قط لأحد إن رمزًا، من دون مذبح ومن دون دم، يمكن أن يحل محل الذبائح المأمور بها. ولم يقل يسوع ذلك قط، ولا الأنبياء. ولا توجد شريعة تحدد:

- كم مرة يجب إقامة خدمة التناول الجديدة هذه
- من يجب أن يتولى رئاستها
- أين يجب أن تُقام
- ماذا يحدث لمن لا يشترك فيها أبدًا

تمامًا كما فعل الفريسيون والصدوقيون والكتبة، ابتكر الناس كل هذه التفاصيل (مرقس 7:7-9). وأُقيمت لاهوتيات كاملة على هذه المراسم؛ فبعضهم يسميها سرًّا مقدسًا، وآخرون يسمونها تجديدًا للعهد — لكن لا شيء من ذلك يأتي من شريعة الله أو من كلمات يسوع في الأناجيل، حين تُفهم في سياقها.

والنتيجة مأساوية: تؤمن جماهير غفيرة أنها «تطيع» الله بالمشاركة في طقس لم يأمر به قط. وما زالت شرائع الهيكل الحقيقية قائمة، مع استحالة حفظها لأن الله أزال الهيكل؛ وبدلًا من إكرام هذه الحقيقة بخوف وتواضع، يصر الناس على التظاهر بأن خدمة رمزية يمكن أن تحل محلها.

تذكّر يسوع من دون اختراع شرائع جديدة

لا تتركنا الكتب المقدسة بلا إرشاد بشأن كيفية إكرام المسيح بعد صعوده. قال يسوع نفسه: «إن كنتم تحبونني فستحفظون وصاياي» (يوحنا 15:14). وسأل أيضًا: «ولماذا تدعونني: يا رب، يا رب، وأنتم لا تفعلون ما أقوله؟» (لوقا 46:6).

إن سبيل تذكّره ليس إقامة مراسم مخترعة، بل طاعة كل ما سبق أن نطق به أبوه على ألسنة الأنبياء الذين جاؤوا قبل المسيح، وعلى لسان المسيح نفسه.

نطيع ما يمكن إطاعته، ونكرم ما لا يمكن إطاعته

لا تزال الشريعة كما هي، لم تُمس. ولا يزال الفصح ونظام الذبائح مكتوبين كفرائض أبدية، لكن إطاعتهما مستحيلة الآن لأن الله نفسه أزال الهيكل والمذبح والكهنوت. ولا تغيّر خدمة التناول هذه الحقيقة. فهي لا تحوّل الخبز الرمزي والخمر

الرمزي إلى طاعة، ولا تتمّم شرائع الهيكل. ولا تأتي من التوراة، ولم يأمر بها يسوع قط باعتبارها فريضة جديدة مستقلة للأمم.

نطيع اليوم ما يمكن إطاعته: الوصايا التي لا تعتمد على الهيكل. ونكرم ما لا يمكن إطاعته برفض اختراع بدائل. خدمة التناول محاولة بشرية لملء فراغ خلقه الله نفسه. والخوف الحقيقي من الرب يقودنا إلى رفض هذا الوهم بالطاعة والعودة إلى ما أمر به فعلًا.